الزَّمن الاجتماعي والزَّمن الميدياتيكي

إعلام ما بعد الثورة في تونس

عبدالله الزّين الحيدري

1. مسألية البحث

التطوّر التكنولوجي المتسارع الذي يشهده اليوم مجال الإعلام والاتّصال، يضع من جديد نظريّة الحتميّة التكنولوجية، لـ ماك لوهان (McLuhan) على محكّ النظريّات السوسيولوجيّة المهتمّة بكيفيّة تشكّل الظواهر الاجتماعيّة وتطوّرها، ولا سيّما البنائيّة الاجتماعيّة، إذا ما اعتبرنا هذا النسق من التفكير نظريّة. لقد تزايد الاهتمام بدراسة الجيل الجديد من التقنيات الاتّصالية وتأثيرها في حركة التغيّر الاجتماعي، من ضمن سياق اتّسم بالتّلازم بين حياة الفرد الاجتماعي والميديا بمفهومها الواسع إلى حدّ اعتقاد الكثير من الدارسين أنّ هذه التقنية الاتصاليّة تصنع الإنسان أكثر ممّا يصنعها. ولقد أفرز هذا الواقع التكنولوجي أنماطاً سلوكيّة جديدة شكّلت ما سميناه الزَّمن التكنولوجي[1]، زمن الميديا الاجتماعيّة والتسريب المفتوح، زمن التفكيك والإفشاء، زمن برز فيه الإنترنت كقوّة قادرة على مقاومة الحكومات والإمبراطوريات

(1) عبدالله الزين الحيدري، الفضائيات العربيّة والزَّمن الاجتماعي، المجلّة العربيّة للثّقافة، عدد: 33)،تونس: المنظّمة العربيّة للتربية والثّقافة والعلوم، 1998)، ص49، 67.

الاقتصاديّة الكبرى، وكإنجاز عظيم حقّق ما كان يرنو إليه الرّئيس الأميركي ويلسون (W. Wilson) حين كان يردِّد أنّه طالما أنّ هنالك دبلوماسية سريّة لا يمكن أن توجد ديمقراطية. ويكشف هذا القول النقاب عمّا يشهده العالَم من استخدامٍ للميديا الاجتماعيّة وللتّسريب الإعلامي كضرب من ضروب اختراق دوائر الصّمت والتصدّي للسياسات القمعيّة والأنظمة المركزيّة التي تخفي حقائق الأمور المتّصلة بشتّى الممارسات الفكرية والسياسية والعسكرية.

ولكن هذا الزَّمن يختلف عمّ يتشكّل في الميديا الجماهيرية التقليدية من واقع إعلامي عبّرنا عنه في غير هذا السّياق بالواقع الميدياتيكي[2]، وهو الواقع الذي تُشذب صُوَرُه في مخابر المؤسّسات الإعلاميّة بشتّى الأساليب المدروسة. والمحصّلة النهائيّة لهذا المشهد المُزدوِج، هوّ وجود زمنَيْن متقاطعَيْن، متضادَّيْن: زمن ميدياتيكي تحرّكه وسائل الإعلام الجماهيريّة، وزمن اجتماعي يرسمه النشاط الاجتماعي في أبسط مظاهره.

والسّؤال الذي نطرحه في ضوء ما تقدّم، هوّ: كيف يتعايش الزَّمن الاجتماعي مع الزَّمن الميدياتيكي انطلاقاً من توصيف مرحلة من مراحل تلاطم المشهد السياسي في تونس، على امتداد السنوات الخمس الأخيرة. مَن يقرِّر الواقع ويصمّم هندسته الاجتماعيّة؟ هل يعمل الزَّمن الميدياتيكي على هدم الزَّمن الاجتماعي وإعادة تشكيله من جديد؟ كيف يستوعب الزَّمن التكنولوجي صراع الأزمنة هذا؟

2. مشكليّة الزَّمن في أدبيّات الإعلام والاتّصال

مشكليّة الزَّمن لم تكن وليدة الفكر اللّغوي والفلسفي المُعاصِر. إنّها مشكليّة كلّ العصور. وقد اختلف المفكّرون والدّارسون، من العصر اليوناني إلى عصرنا الحالي، في تحديد مفهوم دقيق، بعيد عن الاضطّراب، لمعنى الزَّمن، فمنهم مَن يعتبر أنّ الزَّمن قديم، مثل الأقدمين من الفلاسفة اليونانيّين، باستثناء أفلاطون[3] الذي يراه حادثاً مخلوقاً،

(2) عبدالله الزين الحيدري، المرجع السابق نفسه.

(3) «أفلاطون (...) يرى أنّ الزَّمن حادث ومخلوق. ويدلّ على أنّ هذا هو مذهبه في الزَّمن، قول أرسطو: إنّ الأقدمين جميعاً ما عدا أفلاطون اعتقدوا أنّ الزمان قديم، أمّا هو، فقد جعله حادثاً، إذ قال: إنّه وجد مع السماء، وإنّ السماء حادثة».
عودة عبد عودة عبدالله، «قيمة الزَّمن في القرآن الكريم»، **مجلّة البحوث الإسلاميّة**، عدد 74، 2005.

ومنهم مَن يُقرّ بحدوثه ومخلوقيّته مثل فلاسفة الإسلام. والجهود الفكريّة والدراسات القديمة التي اهتمّت بموضوع الزَّمن، إنّما تناولته كمبحث لغوي، وفلسفي، وأدبي وفنّي، يستمدّ دلالاته من المعاجم اللّغويّة والنصوص الدينيّة وكُتب التاريخ والتفسير، إلى أن أطلّت أطروحات غاليلي (Galilei)، ثمّ نيوتن (Newton)[4]، وهي التي استخدمت للمرّة الأولى الزَّمن كمفهوم فيزيائي بحت.

ولسنا في هذا العمل لنخوض في ثنائيّات الزَّمن العلميّة والفلسفيّة المعقّدة: إطلاقيّته ونسبيّته، دائريّته وخطّيته، موضوعيّته وذاتيّته، إنّما أردنا الإشارة إلى أنّ مشكليّة الزَّمن قد شكّلت، عبر العصور، هاجساً فكريّاً وعلميّاً شغل الفلاسفة واللّغويين والنّحاة والفيزيائيّين والرياضيّين والأدباء وعلماء الاجتماع، لارتباط الزَّمن بالإنسان وبحركة الكون، ولكنّها لم تُطرح كمسألّيّة سوسيولوجيّة في علوم الإعلام والاتّصال، لا في مستوى البحث العلمي ولا في مستوى برامج التعليم والتكوين، على الرّغم من أهميّة السياق الذي تزايد فيه الاهتمام بتكنولوجيا الاتّصال وبالدراسات الإعلاميّة.

ومن المثير حقّاً غياب التفكير إعلاميّاً وميدياتيكيّاً[5] في موضوع الزَّمن، والحال أنّ الصّناعات الإعلاميّة[6] والميدياتيكيّة بشكل عامّ، خاضعة برمّتها لمعادلات زمنيّة دقيقة من حيث المراحل التي تقطعها كصناعة تتقرّر من المصدر باتّجاه الجمهور. ونتحدّث في هذه الحالة عن زمن الإنتاج، وزمن البثّ، وزمن الاستقبال، وجميعها أزمنة مستقلّة، متقاطعة في الآن ذاته. ونجد عند ميشال سوشون (Michel Souchon) توصيفاً لهذه الأزمنة يختزله في دراسته للتلفزيون ضمن تصنيف تراتبي يشير فيه إلى التلفزيون

(4) Isaac Newton, *Principes mathématiques de la philosophie naturelle*, Londres, 1687.

(5) استخدامنا لكلمة «ميدياتيكي» يعود إلى سنة 1993، عندما تزايد الحديث حول الميديا الجديدة التي بدأت تغمر حياة المؤسّسات وحياة النّاس، وكان ذلك خلال ندوة علميّة حول الإعلام والتنمية المعقودة في مدنين من 12إلى 13 جويليه (يوليو) 1993. والأصل في الكلمة هو كلمة «ميديا»، وهي كلمة لاتينية، تعني كلّ وسيلة بثّ، وهي مشتقّة من العبارة الإنكليزيّة Mass-Media، بمعنى الميديا الجماهيريّة، وقد تمكّنت من الاصطلاح في اللغة الفرنسيّة، ونتطلّع إلى أن تتمكّن من الاصطلاح كذلك في اللّغة العربيّة، لأنّ النظام اللّغوي يزدان بمفردات العصر الجديدة نتيجة البحث العلمي.

(6) نميّز في سياق الحال بين «إعلامي»، و«ميدياتيكي». فالصّناعة الإعلاميّة هي التي تُحدثها مؤسّسات الإعلام الجماهيري التقليديّة، والصّناعة الميدياتيكيّة هي التي تَنتج عن الاستخدام المؤسّسي والفردي لجميع أصناف الميديا الجماهيريّة والاجتماعيّة.

في مستوى البثّ، والتلفزيون المُمكن، والتلفزيون المُتاح، والتلفزيون في مستوى الاستقبال[7]. والتوصيف، على أهميّته كمعطى إحصائي مجرّد يُبرِز حجم الإنتاج في علاقته بنسب المتابعة، فإنّه يتعرّض للمسألة الزَّمنيّة من الناحية الكميّة فقط، ويُهمل الجانب الكيفي الذي تحدّث عنه برغسون (Bergson) في سياق ما يسمّيه الزَّمن النفسي أو الديمومة[8].

كما أنّ الصّناعات الإعلاميّة والميدياتيكيّة، مثلما نتبيّنها، فعل مولّد للزّمن من حيث كونها إنتاجاً للمعنى، إنتاج له أثره في المجتمع، ومن حيث كونها كذلك اهتماماً بقضايا الشأن العامّ. وسنصل، في موضع لاحق، لتوضيح هذا الجانب. فموضوع الزَّمن المطروح في مضمارنا حينئذ، يتعلّق في المقام الأوّل بالزَّمن كصناعة إعلاميّة، ميدياتيكيّة تنمو وتزدهر في تربة اجتماعيّة ثقافيّة، صناعة تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات والعصور.

لم تكترث أدبيّات الإعلام والاتّصال، في المنطقة العربيّة على الأقلّ، بمشكليّة الزَّمن كمبحث فكريّ وفلسفيّ، له أبعاده الإعلاميّة والميديولوجيّة. فالدّراسات والبحوث القليلة التي تطرّقت للمسألة الزَّمنيّة إعلاميّاً، منها ما لا يستحقّ الذكر لهشاشةٍ في الطَّرح وإخلالٍ بالأمانة العلميّة، أمّا البقيّة، فإنّما قاربت الموضوع على اعتباره مفهوماً مطلقاً ومعطى لقياسات غير قابلة للتغيير، وهي في أغلبها دراسات وصفيّة كالدراسات المونوغرافيّة، ودراسات الحالة، ودراسات تحليل المضمون الإعلامي[9]، دراسات غارقة بأكملها في الجداول والأرقام المُكتنزة بالمعلومات الرّقميّة حول مدّة البرامج الإذاعيّة والتلفزيونيّة، إذا ما تعلّق الأمر بالإعلام السمعي ـ المرئي، وتوقيت بثّها، والفترات الزَّمنيّة المخصّصة لمتابعتها. أمّا إذا تعلّق الأمر بالصّحافة المطبوعة، فالاهتمام بمشكليّة الزَّمن لا يتعدّى الحديث عن وتيرة الصّدور، وزمن النشر، وسرعة التوزيع. والمحصّلة النهائيّة لمثل هذه

(7) Michel Souchon, *Petit écran, grand public*,(Paris: La Documentation Françaises, 1980).

(8) Henri Bergson, *Essais sur les données immédiates de la conscience,* (1888), (FV Editions, 2012).

(9) تقديرنا لما يحدث في هذا المجال، مبنيّ على الملاحظة والمعايشة طيلة مراحل التدريس والإشراف العلمي الذي قمنا به من 1990 إلى حدود إنجاز هذا العمل.

الجهود البحثيّة هزيلة جدّاً، بعيد من أن يخدم قضّية فكريّة أو يقدّم إضافة علميّة. ومن المؤسف أن نرى في العديد من الأوساط الأكاديميّة العربيّة، ونحن نتحدّث عن مجال الإعلام والاتّصال، مَن يشترط في البحث العلمي، من المحكّمين بشكل خاصّ، حزمة من الجداول وكمّاً كبيراً من الأرقام، دلالة على الجهود الأمبريقيّة و«علميّة» البحث. ولقد ازدهرت في حدود هذا الوسط ما نسمّيه المقاولات «العلميّة» المنتجة لذخيرة «علميّة» لا تجيب عن أسئلة المجتمع، وهي شبيهة إلى حدّ مّا بالمقاولات في مجال البناء والمنشآت المعماريّة.

وعلى حين تنامى الاهتمام في الدراسات العربيّة، الأدبية والنقديّة، بموضوع الزَّمن، إن على المستوى اللّغوي أو على مستوى السّرد الرّوائي الحديث، ونخصّ بالذكر أعمال الأديب والرّوائي زايد عبد الصّمد حول مفهوم الزَّمن ودلالاته في الرّواية العربيّة المعاصرة[10]، والناقد سعيد يقطين، حول الزَّمن والسّرد والتبئير[11]، والشاعر رشيد كمال، حول الزَّمن النحوي في اللّغة العربيّة[12]، والناقد الحاج علي هيثم حول الزَّمن النوعي وإشكاليّات النوع السّردي[13] والعالِم النحوي المرزوقي الأصفهاني حول الأزمنة والأمكنة[14]، والفيلسوف حسام الآلوسي حول الزَّمن في الفكر الديني والفلسفي القديم[15]، والفيلسوف عبد الرّحمن بدوي[16] حول الزَّمن الوجودي[17]...، غاب التفكير

(10) زايد عبدالصّمد، **مفهوم الزَّمن ودلالاته في الرّواية العربيّة المعاصرة**، (القاهرة: الدار العربيّة للكِتاب، 1988).

(11) سعيد يقطين، **تحليل الخطاب الرّوائي (الزَّمن، السّرد، التبئير)**، (بيروت: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1989).

(12) رشيد كمال، **الزَّمن النّحوي في اللّغة العربيّة**، (عمّان: دار عالم الثقافة، 2008).

(13) الحاج علي هيثم، **الزَّمن النوعي وإشكاليات النوع السّردي**، (بيروت، الانتشار العربي، 2008).

(14) المرزوقي الأصفهاني، **الأزمنة والأمكنة**، (حيدر آباد، دار الكتاب الإسلامي، 1914).

(15) حسام الآلوسي، «الزَّمن في الفكر الديني والفلسفي القديم»، **مجلّة عالم الفكر**، الكويت، المجلّد الثامن، (1977).

(16) عبدالرّحمن بدوي، **الزمان الوجودي**، ط 3، بيروت: دار الثقافة، (1973).

(17) يجدر ذكر بعض الأعمال الأخرى حول **الزَّمن في الفكر الفلسفي** لإبراهيم العاتي، وحول الزَّمن في الرّواية ، مثل عمل مها حسن القصراوي : **الزَّمن في الرّواية العربيّة**، كما يجدر ذكر بعض الأعمال الأخرى التي وردت ضمن إعداد رسائل الماجستير، مثل العمل الذي أنجزه عبدالفتّاح سعيدي حول مفهوم **الزَّمن بين برغسون وإنشتاين**، والعمل الذي أنجزته قمرة عبدالعال حول البنية

في المسألة الزَّمنيّة عن حلقات البحث العلمي في الإعلام والاتّصال.

لم يشكّل ما نسمّيه السّرد الميدياتيكي[18] مبحثاً في مجال الإعلام والاتّصال، ولم يشغل اهتمام الباحثين المُنتمين لهذا الحقل بالكيفيّة التي شغل فيها السّرد الرّوائي الأدباء والنّقاد في المجال الفنّي والأدبي. أَوَليس السّرد الميدياتيكي شبيهاً إلى حدّ مّا بالسّرد الرّوائي في مستوى بناء الأحداث ومستويات ما يُعرف في لغة الدراما بالتوتّر الدرامي؟ فكما يوجد في السّرد الرّوائي ما يُعرف بالمَتن الحكائي[19] والمبنى الحكائي[20] يُوجد في المجال الإعلامي ما يُسمّى أصل الأحداث، وبناء القصّة الخبريّة. فالبناء الإخباري، سواء تعلّق الأمر بالإعلام المطبوع أم بالمسموع أم بالمرئي، هو بناء درامي بامتياز، وقد سبق أن شرحنا هذه المسألة في غير هذا الموضع[21].

لم نعثر في أدبيات الإعلام، منذ شرعنا في محاولة لدراسة المسألة الزَّمنيّة في الميديا، على أثر علمي في الموضوع. فالمادّة العلميّة المتوفّرة حول مبحث الزَّمن راوحت موضوعاتها بين الفكر الفلسفي والديني والأدبي والنقدي وعِلم الاجتماع، كما أشرنا سابقاً. ونعتبر دراستنا حول «الفضائيات العربيّة والزَّمن الاجتماعي»[22] من أولى الدراسات التي اعتنت بمشكليّة الزَّمن في بُعده الميدياتيكي، ولعلّها الوحيدة على حدّ علمنا. لقد توصّلنا في هذه الدراسة إلى الكشف عن انسلاخ الإعلام العربي (الإعلام التلفزيوني على وجه الخصوص) عن الزَّمن الاجتماعي العربي المتمثّل في الأنشطة الماديّة والثقافيّة التي يحقّقها المجتمع بما يجعل هذا الزَّمن الاجتماعي متنافراً مع

الزمكانيّة في رواية **الرّماد الذي غسل الماء**.

(18) عبدالله الزين الحيدري، «عصر الرّومانسية الإعلاميّة»، **مجلّة المستقبل العربي**، العدد 410، (نيسان، 2013).

(19) المتن الحكائي هو أصل الأحداث في خطّها الزَّمني المنطقي.

(20) المبنى الحكائي هو الأحداث في هندستها الرّوائيّة الدراميّة التي يفرضها نظام العمل الفنّي والأدبي.

(21) عبدالله الزين الحيدري، **الصّورة والتلفزيون، بناء المعنى وصناعة المضمون**، (البحرين، كليّة الآداب، جامعة البحرين، 2004).

(22) عبدالله الزين الحيدري، «الفضائيات العربيّة والزَّمن الاجتماعي»، **المجلّة العربيّة للثقافة** عدد 33، تونس، المنظّمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (1998)،ص 49-67.

الزَّمن الذي تنتجه الميديا بوصفها فضاءً عموميّاً يُعنى بقضايا الشأن العامّ[23]. كما بيّنّا في الدراسة ذاتها مدى التباعد بين الإعلام العربي والبحث العلمي. فالإنتاج العلمي، في الأوساط الثقافيّة العربيّة لا يتعدّى غالباً أسوار الجامعات والمؤسّسات البحثيّة، في الوقت الذي ينبغي أن يسهم العِلم في ازدهار الإنتاج الإعلامي وجعله منسجماً مع الزَّمن الاجتماعي ومُواكِباً لتجليّاته وتطوّره.

على صعيد آخر، حرصنا على أن تكون المسألة الزَّمنيّة مطروحة بشكل جزئي في خطّتنا الدراسيّة لمقرّرات الكتابة التلفزيونيّة والصّحافيّة، بما يحثّ الطلّاب على التفكير في اعتبار موضوع الزَّمن قضيّة ميدياتيكية في زمن باتت فيه الميديا المحرّك الرّئيس للتفاعلات الاجتماعيّة. وقد أفضى هذا التوجّه إلى ظهور بعض المحاولات البحثيّة في مستوى رسائل ختم الدروس الجامعيّة التي أشرفنا على إنجازها خلال مسيرتنا التدريسيّة في معهد الصحافة وعلوم الإخبار، محاولات تناولت للمرّة الأولى المسألة الزَّمنيّة موضوعاً أساسياً في دراسات وسائل الإعلام الجماهيري[24]

كما عملنا على أن تكون المسألة الزَّمنيّة مطروحة بعمق في العديد من المؤتمرات الدوليّة والندوات[25] الفكريّة التي شاركنا في أشغالها، وفي العديد من أعمالنا العلميّة.

(23) الأطروحات العلميّة والرّسائل الجامعية المنجزة في مجال علوم الإعلام والاتّصال تشكّل رصيداً معرفيّاً يهتمّ بدراسة الخطاب الإعلامي ودَور الإعلام في التنمية الشاملة، وغالباً ما يستقرّ هذا الرّصيد عند عملية التوثيق بدل استثماره لتطوير عمل وسائل الإعلام. أنظر:
عبدالله الزين الحيدري، «الفضائيات العربيّة والزَّمن الاجتماعي»، مرجع سابق، **المجلّة العربيّة للثقافة**.

(24) حمد حمودي، نوال الزرقاني، **الصّورة والزَّمن الاجتماعي في التلفزيون**، رسالة ختم الدروس الجامعيّة، إشراف د. عبدالله الزين الحيدري، (تونس، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، 1997).
سفيان مساهلي، سامي مصدّق، **مفهوم الزَّمن في البرامج التلفزيّة من خلال قناة 7 التونسيّة**، رسالة ختم الدروس الجامعيّة، إشراف د. عبدالله الزين الحيدري، (تونس، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، 1993).
منير سرّاج صوابني، **الزَّمن الاجتماعي في التحقيقات التلفزيونيّة، برنامج المنظار نموذجاً**، رسالة ختم الدروس الجامعيّة، إشراف د. عبدالله الزين الحيدري، (تونس، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، 1999).

(25) نذكر على سبيل المثال المؤتمر الدولي حول الإعلام العربي بعد الثورات، تحديات الحاضر وآفاق الإصلاح، تونس 24-25-أبريل 2012. المؤتمر الدولي حول الإعلام والأزمات: الرّهانات

وقد أنشأنا مدوّنة حرصنا أن يكون موضوع الزَّمن في الميديا مادّتها الأساسية كما يشير إلى ذلك اسم المدوّنة ذاتها: «الزَّمن الميدياتيكي Le temps médiatique»[26]. وتبقى هذه المحاولات برصيدها الفكري والعلمي توجّهاً غير مألوف في سجلّ الدراسات الإعلاميّة والاتّصاليّة بشكل عامّ، وهي في نظر الخبراء والإعلاميّين ترفٌ فكريّ يُعالج بالأساس قضايا نظرية لا علاقة لها بالواقع الاجتماعي.

3. الزَّمن الميدياتيكي ما بعد الثورة في تونس

كنّا تحدّثنا إبّان ثورة 17 ديسمبر14- يناير 2011 التي حدثت في تونس عن أهميّة الوظائف التي ينبغي لوسائل الإعلام القيام بها لتحقيق أهداف مجتمعيّة وسياسيّة هي الأصل في حدوث التماسك الاجتماعي والازدهار الثقافي والحضاري[27]. وتركيزنا على هذا الجانب الوظيفي لوسائل الإعلام، كان من قبيل التدبّر لفهم كيف بدأت وسائل الإعلام في تونس تنحرف عن وظائفها بعد أن «تحرّرت» نسبياً من سلطة دولة الحزب الواحد، وشرعت تدريجيّاً في فضح منظومة الاستبداد والفساد. ولكن سرعان ما اتّخذ هذا التوجّه منحىً عكسيّاً لأصول العمل الإعلامي، لتتدحرج منظومة القيَم والأخلاق التي تحكم المِهن الإعلاميّة والاتصاليّة، ويتعطّل كلّياً التركيز على أهداف الثورة.

لقد تحرّكت الأجهزة الإيديولوجيّة للدولة الجديدة في تونس، بالتواطؤ مع طبقة من الإعلاميّين والاتصاليّين والجامعيّين، والمفكّرين، تحرّكت باتّجاه تشكيل جديد للمجال العمومي الميدياتيكي وتحديد وظائفه الإعلاميّة والسياسيّة والثقافيّة لإعادة المنظومة الإعلاميّة برمّتها إلى المربّع الأوّل الذي يسكنه الكذب والتزوير وسوء الاستخدام العمومي للعقل. ومن أبرز مظاهر صناعة الكذب الميدياتيكي في تونس ما بعد الثورة، نذكر ما كان يُسمّى آنذاك حادثة الفوتوشوب، أو حادثة مسيرة الحريّة[28]، ثمّ بعد ذلك

والتحديات، جامعة الشارقة، 14-15- ديسمبر 2010. المؤتمر الدولي حول وسائل الإعلام العموميّة وعمليّات التحوّل الديمقراطي، معهد الصّحافة وعلوم الإخبار، 26-27- أفريل 2012. المؤتمر الدولي حول الرّبيع العربي والفوضى الإعلاميّة، جامعة قطر، 6 نوفمبر 2013.

(26) *https://hidriadam.wordpress.com/*

(27) عبدالله الزين الحيدري، «مواهب إنتاج الفشل في تونس: الظاهر والباطن في معركة حريّة الإعلام»، **الفجر نيوز**، 28 -9-2012.

(28) في تغطيتها لمسيرة في تونس العاصمة تطالب بالحريّة، نشرت صحيفة المغرب التونسيّة، في

الأفلام التلفزيونيّة الكاذبة حول تهريب البضائع والأسلحة عبر الحدود الجزائريّة –التونسيّة[29]، والتقارير الإخباريّة المشحونة باختلاق الشهادات والمغالطات وانتحال الصفة والمسؤوليّات[30]، والتشويه المتعمّد الذي طاول تصريحات الرّئيس السابق المنصف المرزوقي[31]، وغيرها من أفعال التزوير الميدياتيكي الأخرى، السّارية في مفاصل المجتمع، والتي قامت على تغيير عناصر الواقع والعبث بمفرداته، ضمن سياق اتّسم بإرادة مجتمعيّة لهدم قلاع الاستملاك وخلخلة مراكز الاستبداد الجاثمة بثقلها في الواقع الاجتماعي، ورفض الأنساق المُهيمِنة ومقاومة الاستبعاد، بكلّ أصنافه، الذي يُمارَس عبر المؤسّسة الإعلاميّة[32].

إنّ علامات التدنّي الوظيفي للمجال العمومي الميدياتيكي في تونس، والمتجلّية بوضوح في التنافر العميق بين الواقع الذي يصنعه الإعلام العمومي والواقع الذي يعيشه المجتمع، لاحت في بدايتها ضرباً من ضروب الكشف عن فشل سياسي في إدارة الدولة. وكنّا كتبنا آنذاك في هذا المضمار أنّه «قبل أن تباشر حكومة حمادي الجبالي[33] الشرعيّة مهامّها الثقيلة لإرساء دولة الحقّ والقانون، وتوفير ما يسمّيه كانط (Kant) بالكرامة الشخصيّة، وقبل أن تضطلع بمسؤوليّة كنس الفساد من مؤسّسات المجتمع المدني،

عددها الصّادر يوم الأحد 29 يناير 2012، صورة ضخمة تبرز نسبة المشاركين العالية في المسيرة والتي، بحسب ما أظهرته الصّورة، يمكن تقديرها بالآلاف، في حين كان العدد الحقيقي لا يتجاوز العشرات من المتظاهرين. وواقع الأمر أنّ الجريدة أقدمت على استخدام الفوتوشوب قصد تضخيم حجم المسيرة لمنح الانطباع للرّأي العامّ بأنّ ما يسمّى المدّ الحداثي في تونس، هو المسيطر والمحرّك القويّ للشارع التونسي والمتحكّم في مساره. أنظر جريدة الصباح التونسيّة بتاريخ 31 يناير 2012، أنظر كذلك صحيفة الشروق التونسيّة بتاريخ 31 يناير 2012.

(29) *http://www.babnet.net/festivaldetail-81884.asp?ModPagespeed=noscript*

(30) *http://www.babnet.net/festivaldetail-81884.asp?ModPagespeed=noscript*

(31) *https://www.youtube.com/watch?v=PRvSOniMwgk*

(32) عبد الله الزين الحيدري، «طبائع الفساد والعبث بالمجال العمومي، وسائل الإعلام العموميّة العربيّة وعمليّات التحوّل الديمقراطي»، **أعمال المؤتمر الدولي، معهد الصّحافة وعلوم الإخبار**، تونس: مؤسّسة كونراد أديناور، (26–27 نيسان 2012).

(33) حكومة حمادي الجبالي التونسيّة هيّ أوّل حكومة تشكّلت عقب انتخابات المجلس الوطني التأسيسي في أكتوبر 2011، وهي أوّل انتخابات حرّة ديمقراطيّة طبعت مرحلة الانتقال الديمقراطي في تونس.

والانكباب الفعلي على تدبير الحلول الاقتصاديّة واحتواء المشكلات الاجتماعيّة الجاثمة منذ عقود على حياة النّاس، بدأ يطفو على السّطح الميدياتيكي خطاب ينذر بخطورة الحالة السياسيّة وتدحرجها إلى أسوأ ما كانت عليه قبل الثورة. وسرعان ما بدأ هذا الخطاب يزدهر في تناغم مثير بين قنوات الإعلام السّمعي- المرئي خصوصاً، خطاب يسخر من أوّل رئيس يأتي إلى سدّة الحكم ديمقراطيّاً، ويُقبِّح من دون منظار أوّل حكومة شرعيّة، ويتصدّى بقوّة لفتح باب تحوّل «المبادئ» التي أفرزتها الثورة، ولا يتوانى في عدّ اختيار الشعب اختياراً ساذجاً، مقدّمة للإفصاح عن فشل الحكومة والدعوة إلى إسقاطها وإلغاء دورها، لأنّ الخطاب في بعض مفاصله ينذر أيضاً بأنّ استمرار هذه الحكومة سيؤدّي إلى خراب المحتوى الرّمزي والديمقراطي للدولة (...) وبدأت التحليلات والتفسيرات المناوئة للحكومة الجديدة تتساءل على الرّاي العامّ، وبما لا يدع مجالاً للشكّ، عن رغبة العديد من الأحزاب والأطراف الإعلاميّة في إفشال الحكومة والإطاحة بها. وتجلّى ذلك بوضوح في الهدير المتزايد لأرباب المعارضة السياسيّة، ولفئة من قادة الرّأي في البلاد، الذين تهافتوا بحماسة حافلة بالمواقف العدائيّة للشرعيّة على صناعة الفشل وزرعه، بما أوتوا من أدوات فكريّة وبلاغيّة، أخلاقيّة ولا أخلاقيّة، في ساحة السلطة المُنتخَبة.

لم يكن لهذا الهدير منظومة فكريّة مترابطة، إنّما جرى على نحو ساذج الأبعاد تقابل فيه تزوير الحقائق والحوادث مع حملات تشويه الأداء الحكومي، وعرضه في المجال العمومي على أنّه المقصّر الأساسي والعلّة العليا للتدهور الأمني والاقتصادي والثقافي في تونس. وتضخّمت صورة التدهور في الأذهان بما لا يدع مجالاً للشكّ بأنّ الحكومة هيّ المولّد الحقيقي لهذه الحالة التي لم يعهدها التونسيون. وإنّه لمن الغريب أن ينخرط الكثير، من المفكّرين بشكل خاصّ، في صناعة هذه الصّورة وإشاعتها بالقدر الذي يفكّك التماسك الاجتماعي، وهُم الذين يدركون جيّداً، قبل عامّة الناس، مكامن الضرر السّياسي والأخلاقي على مدى العقود الماضية.

كما لم يكن هذا الهدير وليد فلسفة في الاختلاف، حتّى وإن لاح في ظاهره ضرباً من ضروب الاختلاف، فإنّه اختلاف باغٍ، غير صادق يُخفي حقيقة كبيرة، لأنّه كلّما تراكم، وابتعدنا عن زمن أحداثه، تجلّى وجهه الحقيقي بوضوح، وأتاح فرصة شرح تاريخي

لأنطولوجيّته. إنّه اختلاف من أجل الإطاحة بخصم سياسي فيه ابتعاد عن الإدراك العميق لجوهر الحقّ في الاختلاف. فهو لم يكن قائماً على جدليّة الفعل السياسي الخالص الرّامي إلى بناء الوطن وحماية المبدأ الديمقراطي»[34].

وعلى حين كانت حكومة الجبالي تعمل على تضافر الجهود لتحقيق التماسك الاجتماعي وحدٍّ أدنى من النموّ الاقتصادي، كانت تدور في المجال العمومي ألعاب بلاغيّة من أجل الإطاحة بمُنافس سياسيّ «سيّئ». ألعاب تتكرّر فصولها بشكل بات موزوناً وموثوقاً، شغل حياة التونسيّين على اختلاف مشاربهم، وظلّ الزَّمن الاجتماعي الذي يختزل أنشطتهم ومشاغلهم مثقلاً بالزَّمن الميدياتيكي المُتنافر مع انتظاراتهم. وأضحت المشكلة الكبير التي تعاظم صداها في الوسط الاجتماعي بفعل الحفر الميدياتيكي في الأذهان تدور حول سؤال مركزي، هو كيف يُمكن إسقاط هذه التشكيلة السياسيّة الحاكِمة، بدلاً من أن يدور السّؤال حول كيفيّة إنجاح التجربة الديمقراطية الأولى في تونس. ولقد انخرطت الميديا الجماهيريّة في همّ السؤال الأوّل بهوَس المتصدّين للسلطة الجديدة، لتجعل منه موضوعاً محوريّاً مُثيراً للاستقطاب، عبر صناعة إعلاميّة، لا تستند في الأصل إلى موازين العمل الميدياتيكي الخاضعة للتدبّر العلمي والمعرفي، ولا إلى المنابع الفكريّة والمنهجيّة الصّحيحة المُعتمَدة في صناعات المضمون. ولقد استبان اليوم، لعامّة الناس خصوصاً، من خلال الملاحظة والمعايشة، أنّ الفعل الإعلامي أضحى، في جزء كبير منه، نقضاً صريحاً لميكانيزم الديمقراطيّة، ولانتظارات المجتمع في المقام الأوّل، مهنيّاً وأخلاقيّاً. وبدل أن يكون مُحرّكاً دينامياً لتحقيق الازدهار الفكري والثقافي والاقتصادي في البلاد، مستسيغاً نظريّة التعدّدية والفعل التواصلي، تحوَّل الإعلام إلى ممارسة مثيرة تهدّد السّلم الاجتماعيّ[35].

4. الزَّمن الميدياتيكي وصناعة الواقع

إذا كان الزَّمن الميدياتيكي هو محصّلة الإنتاج الإعلامي والتفاعلات الميدياتيكيّة المتّصلة بالشأن العامّ، فإنّ قياسه، خلافاً للزمن الفيزيائي[36]، خاضع لمستويات جدليّة

(34) مرجع سابق، *http://www.turess.com/alfajrnews/108154*

(35) عبدالله الزين الحيدري، **مواهب إنتاج الفشل في تونس**، مرجع سابق.

(36) الزَّمن الفيزيائي هوّ الخاضع لقياسات الحركة في الكون مثل حركة اللّيل والنهار، أنظر: منصور محمّد حسب النبي، **إعجاز القرآن في آفاق الزمان**، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1996).

التأثير والتأثّر في المجتمع. ونتحدّث في هذه الحالة عن التأثير القويّ لوسائل الإعلام والتأثير المحدود، والتأثير على مرحلتَيْن. كما نتحدّث عن تأثّر الأفراد الاجتماعيّين، من منظور عِلم النفس، وعِلم النَّفس الاجتماعي، بمضامين الإعلام من حيث الفوائد التي يجنونها من استخدامهم لوسائل الإعلام[37]. فالزَّمن الميدياتيكي، في تعريفنا، هو السلوك الاجتماعي الذي تُنتِجه الميديا الجماهيريّة وتراقبه وتعمل على تعديله عند الاقتضاء، وهو أيضاً حالة الوعي بضرورة استعمال الميديا الجماهيريّة منظومة تكنوثقافيّة[38] لتلبية الحاجات النفسيّة والاجتماعيّة، مثل حاجات المعرفة وحاجات التواصل الاجتماعي، وحاجات التغيير والانسحاب[39]، وحاجات الضَّبط والاستقطاب[40]. وإنّ أيّ فَهم للزَّمن الميدياتيكي ليس مُمكناً ما لم يكن في ذهن الدّارس صورة متوازِنة عن الزَّمن الاجتماعي الذي لا يعدو أن يكون إنتاجاً اجتماعياً. فكلّ مجتمع له تمثّله الخاصّ به للزَّمن. لذلك يَعُدُّ الأثنولوجيّون (علماء الأعراق) دراسة «النظام الزَّمني» لمجتمع ما، طريقة متميّزة للتعرّف إليه وتحديد خصائصه وفهم ثقافته، وتمييزه عن مجتمع آخر[41]. فمعرفة طبيعة المجتمع، هي حينئذ، ضروريّة لمعرفة طبيعة عمل الميديا، إذ بدونها لا يستقيم الحديث عن تطابق أو تنافر الزَّمن الميدياتيكي مع الزَّمن الاجتماعي، لأنّه يحدث أن تعمل الميديا الجماهيرية بعكس ما ينتظره المجتمع من وسائل الإعلام.

نكون هنا أمام مقاربة هي من أهمّ المقاربات الفلسفيّة والفكريّة لفَهم دَور الميديا الجماهيريّة في حركة التغيّر الاجتماعي، لأنّ الواقع الذي تصنعه وسائل الإعلام هوّ بمثابة الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها المجتمع. فكلّما كانت الإجابة صائبة، بمعنى ملبّية لانتظارات المجتمع، مُنسجِمة مع أهدافه، تحقّق التَّوافق بين الزَّمن الميدياتيكي والزَّمن الاجتماعي. ونتحدّث في هذه الحالة عن المشروع الحضاري المجتمعي،

(37) Jay G. Blumer, Elihu Katz, *The Uses of mass communications: current perspectives on gratifications research,* Volume 1974, Partie 1.

(38) René Berger, *Technocivilisation*, (Lausanne: Presses Polytechniques et universitaires Romandes, 2010).

(39) Jay G. Blumer, Elihu Katz.مرجع سابق

(40) عبدالله الزين الحيدري، **الإعلام الجديد: النّظام والفوضى**، تونس، دار سحر للنشر، 2012.

(41) Roger Sue, *Temps et Ordre Social*, (Paris : P-U-F, 1994), p313.

المنبثق من إرادة مجتمعيّة، صادِقة، متوازِنة. وكلّما كانت الإجابة منحرفة، أي إنّها تقف خارج دائرة انتظارات المجتمع، وقد لا تخدم سوى أجندة القائمين بالإعلام والاتّصال، يظلّ التغيّر الاجتماعي يتغذّى من تصدّع العلاقة بين الميديا الجماهيريّة والجمهور بما يؤدّي إلى الفوضى في تحقيق الازدهار الثقافي والاقتصادي، وتهديد السّلم الاجتماعي في العديد من الحالات. بتوضيح آخر، نقول إنّ فَهم المشكلة الإعلامية والاتّصالية لا يتحقّق بشكل جيّد خارج المُقارَبة الزَّمنية، وهي المُقارَبة التي تبدو غريبة عن هذا الحقل، وخصوصاً في نَظر العاملين ببراديغم التبسيط[42]، وإنّ أيّ سعي للنَّظر من الداخل أو النَّظر من الخارج لفَهم القضايا الإعلاميّة، محكوم برؤية الارتباط العقلي والمنطقي بين المُعادَلة الزَّمنية والمُشكلة الإعلامية والاتّصالية المطروحة، فغياب الوعي بهذا الإدراك ليس دليلاً على عدم وجوده.

تصدُّع العلاقة بين الميديا الجماهيريّة والمجتمع في تونس قديم جديد، ويمتدّ من الجمهوريّة الأولى إلى الثانية بأطوار متقلّبة. ونعتبر وجهه القديم منبعاً يتغذّى منه المشهد الإعلامي الحالي، إلّا أنّ الخوض في تفاصيله لا يهمّ كثيراً دراسة الحال، خصوصاً إذا ما سلّمنا بأنّ احتكار الدّولة لقطاع الإعلام على امتداد أكثر من نصف قرن هو عاملٌ رئيسٌ لتردّي منظومة الإعلام في تونس. ولكنّ ملامح هذا التصدّع تجلّت مع بداية الصّراع من أجل بناء الواقع، وذلك عقب اندلاع الثورة بفترة قصيرة، واحتدّ بعد وصول الترويكا للحُكم[43]، حين أفسح في داخله مكاناً للاحتقان السّياسي والفكري والإيديولوجي، احتقان أفضى إلى ظهور فصل جديد من الاغتيالات السّياسيّة[44]، لم تشهده تونس منذ

(42) براديغم التبسيط يقوم على الاختزال، في حين يقوم براديغم التعقيد على اعتماد أكثر من مقاربة علميّة لفهم المشكلة المدروسة، وهو ما يعكس حقيقة التناهج بين العلوم، ويفسّر ما يُعرف في الأوساط البحثيّة الأكاديميّة بالأبحاث البينيّة.

(43) الترويكا هي أوّل ائتلاف حاكِم في تونس رئاسيّاً وحكوميّاً وبرلمانيّاً بعد انتخاب أعضاء المجلس التأسيسي التونسي ديمقراطياً في أكتوبر 2011، ويتكوّن هذا الائتلاف من ثلاثة أحزاب ذات الأغلبيّة في المجلس الوطني التأسيسي: حزب النهضة، وحزب المؤتمر من أجل الجمهوريّة، وحزب التكتّل الديمقراطي من أجل العمل والحرّيات.

(44) في 6 فبراير 2013 اغتيل الأمين العامّ لحزب الوطنيّين الديمقراطيّين الموحّد، الاستاذ المحامي شكري بلعيد، العضو السابق في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي، وهو أيضاً أحد مؤسّسي تيّار الجبهة الشعبيّة لتحقيق أهداف الثورة. وفي 25 يونيو

ستينيّات القرن الماضي. ومن المُثير، في سياق ما بعد الثورة، أن يتحوّل الإعلام، وعلى وجه الخصوص التلفزيون العمومي، إلى طرف مهمّ في زرع الغموض الأمني والسّياسي في البلاد، والتشكيك في المسار الديمقراطي، والاستخفاف المباشر برموز الدَّولة، من خلال تأثيث مساحات مُعتبَرة من البثّ بألوانٍ من الإنتاج الإخباري وبرامج الحوار (Talk-show)، وبرامج تلفزيون الواقع (Reality-show)، تجري متضمّنة، من حين لآخر، ذخيرة فكريّة وسياسيّة وثقافيّة مضادّة لما يمكن تسميته مبادئ الثّورة في تونس. والحاصل هو «أن تَحَوَّلَ المجال العمومي إلى منابر للانتصار على الخصوم قبل إحقاق الحقّ، ومرتعاً بلا حدود للسّرد الميدياتيكي الهامشي المُثير، لا لتحقيق ارتقاء حياتيّ وتاريخيّ، وإنّما لهزم خصم سياسي أتت به الشرعيّة»[45]. وفي خضمّ هذا المدّ الإعلامي المُتلاطِم بتنامي المغالطات الإخباريّة وتفاقم حجم القضايا الإعلاميّة الكاذبة، الموجّهة لصناعة واقع اجتماعي يحلّ محلّ الواقع الذي أفرزته الثورة، ليقيم الدليل على أنّ الثورة هي خطأ عارض في حركة التغيّر الاجتماعي، وسط هذا التلاطم الجاري في فراغ معرفي ومنهجي، اندلعت معركة «حريّة التعبير»، حركة بدت في ظاهرها شكلاً من أشكال النضال لتأسيس إعلام عمومي حرّ، مستقلّ وموضوعيّ، ولكنّها في واقع الأمر موجة إيديولوجيّة لدحض الجهود الفكريّة والسياسيّة المحرِّكة لإنجاح التجربة الديمقراطيّة في تونس، ولحجب الاعتلال الحقيقي الذي يصيب مجال الإعلام.

ومعركة حريّة التعبير هذه، اندلعت واستقوت في ظرف سوسيو- سياسي حاسم بالنسبة إلى الثورة التونسيّة. فبينما كان العمل السياسي في حكومة الترويكا، وحتّى الحكومة التي تلتها مباشرة، متّجِهاً نحو بناء الدَّولة الديمقراطيّة منهجاً وأسلوباً، كان العديد من المنابر الإعلاميّة الفاعلة في البلاد تنخر خلايا الجهود السياسيّة بتفويض من قوى الضغط الداخلي والخارجي، وبدعمٍ قويّ من خبراء السياسة والاقتصاد الذين يتمّ جلبهم للمجال العمومي بعناية فائقة، لصناعة واقع اجتماعي «مريب»، يعمل على تغيير عناصر الزَّمن الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع.

2013، اغتيل محمّد البراهمي، السّياسي التونسي وعضو المجلس الوطني التأسيسي عن حزب التيّار الشعبي.

(45) عبدالله الزين الحيدري، **مواهب إنتاج الفشل في تونس**، مرجع سابق.

تحت عنوان حريّة التعبير، ظلّ المجال العمومي الميدياتيكي في تونس بعد الثورة مرتعاً لطبقة من «المفكّرين» و«الجامعيّين» الذين انخرطوا في لعبة صناعة الواقع وتهريب الأفكار «الثوريّة»، ومرتعاً كذلك لفئة من الخبراء الذين منحتهم المؤسّسة الإعلاميّة صفة الخبير لإضفاء الشرعيّة على مشروع تونس ما بعد الثورة[46]. وبرز في الخطاب الإعلامي اضطّراب شديد في المعايير الأخلاقيّة، بين حداثة مُطلَقة بلغت درجاتها، في العديد من الحالات، هتكاً للقيَم وللأعراض، وأصالة مفرطة عاجزة عن تحقيق المشروع الحضاري للبلاد. كما تنامت في الخطاب الإعلامي ظاهرة الازدواج اللّغوي والتنصّل المقصود وغير المقصود من اللّغة الأمّ والتبرُّؤ من قواعدها إلى حدّ الفوضى اللّغويّة ممّا يدلّ بوضوح على غياب فكر إعلامي واعٍّ بأمر السّيادة الوطنيّة، ذلك لأنّ اللّغة هيّ عنصر مهمّ من العناصر الاجتماعيّة للدولة، وإنّ أيّ انحراف يحدث في مستوى الاستخدام للنظام اللّغوي فإنّه يطاول سُمعة الدَّولة وسيادتها. ويُمكن ملاحظة كيف يحرص زعماء الدول الكبرى في خطبهم خلال المحافل الدوليّة الكبرى على استخدام لغتهم الأمّ كرمز من رموز السيادة المتمِّمة لصفات الدولة القانونيّة. فاللّغة هي موقف من العالَم. ولننظر كيف يعمل التلفزيون العمومي في فرنسا على تحصين اللّغة الفرنسيّة ومنحها أسباب الإشعاع والانتشار من خلال شبكات برامجيّة مدروسة تراوح فقراتها الكبرى بين الإخبار، والدراما، والفنّ، والألعاب الفكريّة، والبرامج العلميّة والتعليميّة،[47] الموجَّهة لأوروبا وإفريقيا، وكندا، والأقاليم الفرنسيّة ما وراء البحار. فالميديا هيّ محرّك من محرّكات الإشعاع اللّساني، وإنّها في الوقت ذاته معول من معاول كسره إذا ما غاب الوعي بأهميّة نهضة الإشعاع اللّساني في بسط النفوذ وفرض السيادة.

وحين يُساء الظّن إعلاميّاً بالثورة كإنجاز اجتماعي ثقافي، تُفتح الأعين على الزَّمن الميدياتيكي بوصفه المولّد المركزي للمفاهيم والمصطلحات التي تشغل المجتمع من حيث قدرتها على إعادة بناء الواقع الاجتماعي، لأنّه في الإعلام، كما في السياسة،

(46) مشروع تونس ما بعد الثورة، هو المشروع الذي تتبنّاه الأطراف المضادّة للثورة لإجهاض الثورة.

(47) نذكر على سبيل المثال شبكة فرانس تلفزيون (France Télévision) ومن أبرز البرامج الثقافيّة والفكريّة الدّاعمة للّغة الفرنسيّة نجد الأصناف الآتية التي يتمّ بثّها على أكثر من قناة:
Des Chiffres et des Lettres, Motus Les Championnats d'Orthographe, Questions pour un Champion, Bouillon de Culture etc..

والعلوم وسائر مجالات الفكر والتنظيم، لا بدّ من إنتاج مفاهيم تساعد على تحقيق الضبط والسيطرة، ليظلّ الزَّمن الميدياتيكي جوهراً حاضراً بقوّة في الزَّمن الاجتماعي، يرسم بدقّة ووضوح خارطة طريق مبنيّة يسير على منوالها المجتمع. وسوء الظنّ إعلاميّاً بالثورة لم يكن في تونس مجرّد حالة عابرة منحصرة في قراءة الأحداث والوقائع التاريخيّة وتقييم نتائجها. إنّه فكر متجذّر في منظومة إعلاميّة، نشأت في ساحة الدولة الأبويّة المتغلغلة بفائض سلطاتها في كلّ دواليب المجتمع، وترعرعت في ظلّ وصاية ظلّت على امتداد عقود تحدّد زوايا النظر والإدراك في التعامل مع قضايا الشأن العامّ. وبزوال وصاية الدولة، «لم يَعُد للإعلام منبعٌ يتغذّى منه، سوى أنّه ينبغي، معرفيّاً، أن يمتلك تصوراً جديداً مناسِباً لفهم مراد المجتمع، ومنهجيّاً، أن يخترع أدواته بذاته للتحوّل من سطوح السّلطة إلى أعماق الواقع الاجتماعي. ولمّا كان الفكر الإعلامي، في تونس، هو فكر النّظام السياسي المُغلق مصدراً ومنشأً، فإنّ المؤسّسة الإعلاميّة اليوم تجد حالها وجهاً لوجه أمام فقر معرفي ومنهجي يَحول دون بناء استراتيجي لإعلام عمومي. والحاصل هو أن تَحَوَّلَ المجال العمومي إلى منابر للانتصار على الخصوم قَبل إحقاق الحقّ، ومرتعاً بلا حدود للسّرد الهامشي المُثير»[48] الرّامي إلى وأد الثورة. وقد تبنّى السّرد الميدياتيكي في هذا الاتّجاه خطاباً مُنتِجاً للخوف يدعو إلى «فهم» جديد لإعادة المنظومة القديمة، منظومة الفكر المُهيمِن والاستبداد، وذلك من خلال التركيز على صناعة ما يعتبره منظّرو الثورات العوامل الناجعة لتصفية الثورات[49]، وأهمّها يتمثّل في كسر هَيبَة الدولة، وهذا ما تمّ بالفعل مع أوّل رئيس للجمهوريّة التونسيّة أتت به الشرعيّة محمّد منصف المرزوقي، حيث كان تعامل الإعلام مع نشاط رئيس الدولة آنذاك، تعاملاً باهتاً جدّاً بلغ حدّ السّخرية من خطابه وحتّى من مظهره في العديد من المناسبات[50]. واستمرّت هذه الحال بعد مغادرة الرئيس المرزوقي الحُكم، حتّى إنّ وسائل الإعلام

(48) عبدالله الزين الحيدري، **طبائع الفساد والعبث بالمجال العمومي**، مرجع سابق.

(49) أنظر في هذا السّياق مقال فهمي هويدي: «فصل في إجهاض الثورات وتصفيتها»، **الشروق نيوز**، (30 إبريل، 2013)، مُتاح على:

http://www.shorouknews.com/columns

(50) ليليا كمّون، **هيبة الدولة بين «مايوه» بورقيبة و برنوس المرزوقي**، موقع TN News 2014، مُتاح على:
http://tn-news.com/portal/v4/117234566

العمومي تجاهلت فوزه بجائزة دوليّة، هي من أكبر الجوائز التي تُمنح سنويّاً لثلاث شخصيات عالميّة[51] بما يشير إلى عدم جاهزيّة الإعلام العمومي في تونس للتأسيس الديمقراطي، وانخراطه، في المقابل، في إنتاج خطاب العنف والكراهية مثلما هو بيّنٌ في التقرير الذي أعدّته المجموعة العربيّة لرصد الإعلام[52].

كذلك، فإنّ السّرد الميدياتيكي اعتنى بتصوير التدهور الاقتصادي للبلاد مُستخدِماً كلّ الأساليب والأدوات البلاغيّة المُمكنة لتجذير صورة المستقبل المجهول لتونس في الوعي الاجتماعي. ولم يخلُ هذا التصوير من إبراز مشاهد الاستقطاب والتطاحن السياسي، والصّراع الإيديولوجي الذي بات مُنذراً بالانقسام الاجتماعي والجهوي، في «غفلة» من الفاعلين في المنابر الإعلاميّة من صحافيّين وقادة الرّأي، بل إنّ مظاهر الصّراع السياسي والانقسام الإيديولوجي، والتنكيل بالخصوم السّياسيين، تحوَّل تدريجيّاً إلى صناعة ميدياتيكيّة مرغوب بها لتحقيق الشّد و«التميّز» الإعلامي، صناعة ازدهرت بازدهار إنتاج الفشل في المنابر الإعلاميّة، والتشكيك في الوعي بالمنهج الديمقراطي، وتجاهل الكفاءات العلميّة والفكريّة والسياسيّة في البلاد.

الواضح هو أنّ القراءة الأفقيّة للزمن الميدياتيكي في تونس، تكشف عن تنافر حادّ بين زمن الميديا العموميّة والزّمن الاجتماعي، كما تكشف عن وجود مشكلة ثقافيّة عميقة في أوساط الإعلاميين والسّياسيين، وقادة الرّأي من مفكّرين وجامعيين، مشكلة تجرّ البلاد التونسيّة تدريجيّاً للانقسام الاجتماعي واستفحال الفساد والاستبداد، على الرّغم من بعض الإنجازات التشريعيّة والسيّاسية المهمّة في تاريخ تونس، مثل دستور 2014[53]، والائتلافات الحاصلة بين الأحزاب الفائزة في الانتخابات (على الرّغم من هشاشتها)[54]. والمشكلة الثقافية، في تقديرنا، منبعها عدم الرّهان على الثقافة كنظام رمزي

(51) محمّد معمري، «هل تجاهل الإعلام التونسي فوز المرزوقي بجائزة دوليّة؟»، **العربي الجديد**، (19 مارس/ آذار، 2016).

(52) أنظر تقرير مرصد الإعلام في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، تونس جويليه/ تمّوز 2015.

(53) في 3 مارس 2011 تمّ الإعلان عن انتخاب مجلس تأسيسي يتولّى كتابة دستور جديد للجمهوريّة التونسيّة، وقد أنهى المجلس المذكور هذه المهمّة في 26 يناير 2014 وصادق على الدستور التونسي الجديد ثلاث سنوات بعد سقوط نظام بن علي.

(54) الائتلاف الحاكِم الأوّل في تونس تألّف من ثلاثة أحزاب: حزب حركة النهضة، حزب المؤتمر

مُنتِج للديمقراطيّة. فالثقافة في سائر البلدان العربيّة لم تتخلّص بعد من المفاهيم النرجسية المُغلقة لمفاهيمها ووظائفها، ومن العصبيّات الفكريّة والإيديولوجيّة. والمشكلة الثقافيّة منبعها كذلك غياب الرّهان على البحث العلمي كمجالٍ استراتيجي لتحقيق الازدهار الفكري والاقتصادي. ويجدر في مقامنا هذا الإشارة إلى تجربتنا في مجال تدريس الإعلام: «على امتداد نصف قرن تقريباً، لم تَطرح برامج التكوين الإعلامي في تونس مسائل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مباشراً بصناعة المعنى وتحليل الخطاب، على الرّغم من أنّ وظيفة الميديا الأساسيّة هيّ صناعة المعنى بكلّ الأدوات البلاغيّة، باللّفظ وبغير اللّفظ. وكنّا، لمّا أشرفنا على تدريس مادّة التلفزيون بمعهد الصّحافة وعلوم الإخبار، قرّرنا ضمن خطّتنا التدريسيّة إدراج مدخل مفصَّل خاصّ بالصّورة التلفزيونيّة، تعريفاً وإنتاجاً وقراءة وتحليلاً، إيماناً منّا بأنّ حقل الجاذبيّة في الإعلام التلفزيوني هو الصّورة في كلّ حالاتها، الذهنيّة والبلاغيّة والإلكترونيّة. فكان أن ثار أحد «المتمرّسين» في تدريس التلفزيون في معهد الصّحافة على هذا التوجّه معتبراً إيّاه انحرافاً خطيراً في التكوين. والنتيجة هو أنّ أجيالاً من الإعلاميّين تدفّقت إلى ميادين العمل الإعلامي بأدوات شبه صامتة أمام التصوير باللّفظ وبغير اللّفظ وصناعة المعنى»[55]. ونجد كذلك من أسباب المشكلة الثقافيّة، غياب الرّهان على العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة كإطار مرجعي تتحقّق في حدوده الديمقراطية. ومن الأمثلة الدّالة على ذلك هو أنّه إبّان الثورة في تونس، انتاب التلفزيون العمومي هاجس الانتقال من إعلام الوصاية إلى الإعلام «الديمقراطي» المسؤول، القادر على الانسجام مع روح التغيّر الاجتماعي آنذاك، فتهافَت الفاعلون في هذا المجال، إلى جلب الخبراء من مختلف الأجناس الأوروبيّة قصد تدريب الإعلاميّين

من أجل الجمهوريّة، حزب التكتّل الديمقراطي من أجل العمل والحريّات، وقد شهد تعاقب حكومتَين: حكومة حمادي الجبالي، وحكومة علي العريض التي تمّ التوافق على إنهاء مهامها لتحلّ محلّها حكومة مهدي جمعة في نطاق ما عُرف في تونس بالحوار الوطني الفائزة منظّماته الأربع الرّاعية له: الاتّحاد العامّ التونسي للشغل، ومنظّمة الأعراف، والرابطة الوطنية لحقوق الإنسان، والهيئة الوطنية للمحامين، بجائزة نوبل للسلام 2015.

الائتلاف الحاكِم الثاني تكوّن من أربعة أحزاب: حزب نداء تونس، حزب النهضة الإسلامية، حزب آفاق، وحزب الوطني الحرّ.

(55) عبدالله الزين الحيدري، **طبائع الفساد والعبث بالمجال العمومي**، مرجع سابق.

التونسيّين على كيفيّة التعامل الإعلامي مع مقتضيات المرحلة الانتقاليّة، متناسين أنّ المشكلة الرّئيسة هي مشكلة ثقافيّة في المقام الأوّل، وأنّ الحلّ ليس بيد الخبير، إنّما هو كامن في ساحة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، فساحة العِلم، هي السّاحة التي يتقرّر فيها كلّ شيء، أو أنّ كلّ شيء يولد مرادفاً لما يتقرّر في ساحة العِلم.

5. التمركز حول الذّات والبُعد الآخر للزَّمن الميدياتيكي

حين يشتدّ التنافر بين الزَّمن الميدياتيكي والزَّمن الاجتماعي، وتعجز الميديا الجماهيريّة عن الإجابة عن أسئلة المجتمع، تتسع دوائر ما نسمّيه: «هجرة المتابعة» لتظلّ وسائل الإعلام الأجنبيّة، محور استقطاب جماهير المجتمع المحلّي. ويترتّب عن هذه الحال اضطّراب في الإطار المرجعي للأفراد الاجتماعيّين، ذلك لأنّ الميديا الجماهيريّة الأجنبيّة، ليست مسخّرة لإشباع حاجات المجتمع المحلّي، الثقافيّة والسياسيّة، بالمعنى الذي ذهب إليه إلياهو كاتز (Elihu Katz)، وهيربرت بلومر (Herbert Blumer) وميكايل قويريفيتش (Michael Gurevitch)[56]، ثمّ إنّها ليست مجرّد وسائل إعلام وإخبار حياديّة. إنّها، بكلّ أطيافها، الحامل الفكري والثقافي والإيديولوجي للأوساط التي تنتمي إليها. والمحصّلة النهائيّة هو تصدّع القيَم، والوعي الاجتماعي بقضايا نموّ الثقافة المحليّة. ويزداد من هذه الزّاوية الحديث عن الغزو الثقافي كأحد مظاهر اتّساع ميدان الميديا الجماهيرية الحديثة. وقد بيّنا في غير هذا السّياق[57]، أنّ قضيّة الغزو الثقافي، التي طُرحت بحدّة مطلع ثمانينيّات القرن الماضي، في الفكر العربي – الإسلامي، إنّما تحجب قصور الأداء الإعلامي العربي عن الاهتمام بقضايا الشأن العامّ، وتُعطّل وظائفه في ما يتعلّق بتطوير النّظام الثقافي المحلّي، كما أنّها تُبرِزُ ضعف الصناعات الإعلاميّة العربيّة كمّاً وكيفاً[58]، في الوقت الذي تزدهر فيه هذه الصّناعة في أميركا وأوروبا وبعض بلدان آسيا الشرقية.

(56) Elihu Katy, Jay Blumer and Michael Gurevitch. The Use of Mass Communication. (California: Sage: Beverly Hills, 1974).

(57) أنظر، عبدالله الزين الحيدري، **الفضائيات العربيّة والزَّمن الاجتماعي**، مرجع سابق.

(58) عبدالله الزين الحيدري، الصّناعات الإعلامية العربيّة: **قراءة في وسائل الإنتاج، مجلّة العلوم الإنسانيّة**، العدد التاسع، البحرين: كليّة الآداب –جامعة البحرين، (2005). ص 178، 209.

على صعيد آخر، يقود التنافر بين الزَّمن الاجتماعي والزَّمن الميدياتيكي إلى تعطيل وظيفة التشاور بوصفها حلقة وصل موضوعيّة، تتجسّد حقيقتها في المجال العمومي الميدياتيكي، بين الدولة السّياسيّة والدولة الماديّة، أي بين السّلطة السّياسية والمجتمع المدني. والتشاور كما هو معلوم، من أبرز الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام الجماهيري في المجتمع، وهي بالنسبة إلى لازرسفيلد (Lazarsfeld) وميرتون (Merton)[59] ضرباً من ضروب التحقيق للتماسك الاجتماعي، الرّمزي والمادّي. إنّها حينئذ الحيّز الذي تتيحه وسائل الإعلام لمناقشة قضايا الرّأي العامّ، والقضايا المتّصلة بتنظيم الحياة الاجتماعيّة وتطويرها. كما يمثّل التشاور المجال المفتوح، المخصوص لتبادل الأفكار والآراء قصد إضفاء الشرعيّة على اختيارات المجتمع الكبرى. إنّها بعبارة أخرى تغلغلٌ عميق في الواقع الاجتماعي واهتمامٌ بأحداثه وأطواره من أجل ضبطه وإدارته عقلانيّاً عبر الحوار المَبني على أُسس التفكير الاجتماعي الناقد لذاته، المتطهِّر من أساليب الإكراه والضغط. فالتنافر بين الزَّمن الاجتماعي والزَّمن الميدياتيكي، هو في نهاية الأمر إسقاطٌ مقصود لوظيفة التشاور، إسقاط يُحوِّل المؤسّسة الإعلاميّة تدريجيّاً إلى دائرة لإنتاج الهَيمنة والخوف، وذلك في تعطيله إمكانات الاستخدام العمومي للعقل الذي بوسعه تحرير العمومي من الخاصّ، وتحرير العمومي من فِكر الدَّولة السلطويّة.

إنّه لمِن المُمكن اليوم التذليل أو احتواء التنافر بين الزَّمن الاجتماعي والزَّمن الميدياتيكي باستثمار الحلول التقنيّة والميديولوجيّة التي أتاحتها التطوّرات الحديثة لتكنولوجيا الإعلام والاتّصال، والمتمثّلة في المدوّنات الشخصيّة وشبكات التّواصل الاجتماعي. لقد اتسعت دوائر المجال العمومي بظهور هذه الفضاءات الجديدة للتواصل، وتغيّرت هندسته بمقتضى الدّور الذي باتت تؤدّيه ما أصبح يُعرف بالميديا الفرديّة الجماهيريّة[60]. فحين نتمعّن في التدفّق المُضاعَف للمدوَّنات ولشبكات التواصل

(59) Lazarsfeld, P. F. and R. K. Merton. [1948],.«Mass Communication, Popular Taste, and Organized Social Action». in *The Process and Effects of Mass Communication*, edited by W. Schramm and D. F. Roberts. Urbana and Chicago, IL: University of Illinois Press, (1971), pp. 554–578.

(60) Manuel Castells, «Emergence des médias de masse individuels» in : *Les médias entre les citoyens et le pouvoir*, séminaire organisé par le World Political Forum à San Servolo, Italie, (23 et 24 juin 2006).

الاجتماعي ومدى حضورها في حياة الناس بوتيرة عالية[61]، وهي تبدو، في الظاهر، مجرّد حتميّة تكنولوجيّة سبق لـماك لوهان (McLuhan) أن تحدّث عن تجلّياتها[62]، نفهم كيف أصبح بإمكان الفرد، في نظام الإعلام الفردي الجماهيري الجديد، المُشار إليه، فضح الانحرافات الإعلامية التي تُحدثها مؤسّسات الإعلام الجماهيري المُمأسَس، فضحُها عبر مساحات التدوين والتعبير الحرّ عن الرّأي، وكذلك التصدّي لأنساق الهَيمنة الممتلِكة للحقيقة المُطلقة في المجتمع. ومن خلال التمركز حول الذّات المتجسّد في لعبة إنتاج المعنى التي يمارسها الأفراد الاجتماعيّون في حدود الشبكة العنكبوتيّة، برزت فاعليّة الـ«أنا» كمحرّك جديد لإعادة بناء الواقع وترتيب عناصره، ما يمنح الزَّمن الميدياتيكي بُعداً جديداً يأخذ في الاعتبار حقيقة التذاوت (Intersubjectivity) كقيمة تواصليّة، مركزيّة، مُنتِجة للتعدّد والاختلاف.

لقد نشأ لدى الأفراد الاجتماعيّين سلوك تواصلي جديد، مُندمِج مع البُنية المتطوّرة لتكنولوجيا الاتّصال، سلوك موغل في التمدّد، يمتدّ بعمق إلى ميادين الحياة الاجتماعية لينتزع منها اللّوحات الوجوديّة الأكثر انسجاماً مع واقع المجتمع، على ما في هذا الانتزاع من انحرافات لغويّة وأخلاقيّة في الكثير من الحالات. لذلك وصفناه، في غير هذا الموضع بالمدّ الرّومنسي الجديد[63]، لأنّ الرومانسيّة الفلسفيّة اقترن تعريفها بالتعبير الحرّ المتطهّر من جميع الضوابط اللّسانية وغير اللّسانيّة، كما اقترن تعريفها عند الكثير من

(61) بحسب الإحصاءات التي نشرها موقع (Web Marketing Conseil)، جوان(حزيران) 2016، نجد أنّ فايس بوك يتصدّر قائمة الشبكات الاجتماعية المُستخدَمة في العالَم (مليار وواحد وسبعون مليون مستخدم نشط في الشهر 1.71ML)، ثم يليه اليوتيوب بنسبة مليار مستخدم نشط في الشهر 1ML، ثم الواتساب بنسبة مليار مستخدم نشط كذلك في الشهر (1ML)، ثمّ الغوغل هانغوتس (Google Hangouts) نسبة مليار مستخدم نشط في الشهر أيضاً (1ML)، ثمّ تانسانت كيو كيو (Tencent QQ) شبكة الخدمات البريدية الأكثر استخداماً في الصّين بنسبة ثمانمئة وثلاثة وأربعين مليون (843M) مستخدم نشط في الشهر. ويأتي تويتر في المركز الثالث عشر عالميّاً بنسبة استخدام نشط في الشهر تعادل ثلاثمائة وثلاثة عشر مليوناً M313. المصدر:
http://www.webmarketing-conseil.fr/classement-reseaux-sociaux/.

(62) Marshall Mc Luhan, *Pour comprendre les média: les prolongements technologiques de l'homme*, (cité de pub : Éd. du Seuil, 1964).

(63) عبدالله الزين الحيدري، **الإعلام الجديد: النّظام والفوضى**، مرجع سابق.ص 81.

الكتّاب والشعراء باستكتشاف الذّات. ونجد عند الشاعر الألماني جان بول ريختر(Jean-Paul Richter)، في تعريفه للرّوح الرومانسيّة، وصفاً عجيباً للحظة استكشاف الذّات، إذ يقول: «ذات صباح أتتني هذه الفكرة من السماء مثل الوميض : «أنا ذات»، ولم تفارقني منذ ذاك الوقت أبداً، فذاتي رأت ذاتها للمرّة الأولى وللأبد»[64]. ويعني هذا أنّ الذّات في الفكر الرّومانسي هي بوّابة اكتشاف العالَم وإدراك صلاته بالذّات ذاتها، وهي في الفكر الفلسفي عند ماين دو بيران (Maine De Biran)، كما عند جيلبار روميار- دارباي (Gilbert Romeyer-Dherbey)، منبع الحريّة ومركز القرار[65].

وقد اتّخذ التمركز حول الذّات من هذا المنطلق، بُعداً تواصليّاً لا خطّياً يعمل ببراديغم الفكر الجماعي، ولاح بمثابة السّلطة الرمزيّة التي عبّرنا عنها بـ«السّلطة الخامسة»[66]، المتصدّية بقوّة للسّلطة الرّابعة، وهي لا تعدو أن تكون سلطة الإعلام الجماهيري المُمَأسَس، المُهيمِنة على امتداد عقود من الزَّمن على إدارة صناعة الواقع بما يخدم أغراض القائمين بالإعلام.

تبرز اليوم «السّلطة الخامسة»، بروحها الرومانسيّة، كقوّة ميدياتيكيّة، وكحالةٍ سوسيو - ثقافيّة معقّدة، مبعثِرةٍ لقواعد لعبة صناعة الواقع التي نزح جزءٌ منها من الفكر المؤسّسي إلى الذّات الفرديّة. وبات الزَّمن الميدياتيكي، بمقتضى هذا الحال، متشظيّاً بين المؤسّسي والفردي على نحو ما حدث للميديا ذاتها من تذرّر بين الفردي - الجماهيري، والجماهيري المُمَأسَس. فحالة التشظّي، هي حينئذ، السّمة البارزة اليوم لواقع الأزمنة الميدياتيكيّة والاجتماعيّة، وإنّ دراسة أطوارها منوطة بنظرة أنثروبولوجيّة إلى الفعل الاجتماعي.

(64) Jean-Paul Richter, *Journal Intime, (cité par Albert Béguin), L'Ame romantique et le rêve: Essai sur le romantisme Allemand et la poésie Française*, (cité de pub : mpr. Daupeley-Gouverneur, 1937), p.77.

(65) Gilbert Romeyer-Dherbey, «Le Moi du Moi-même, La Pensée de la Subjectivité Chez Maine De Biran», Conférence prononcée à la *Société Bordelaise de Philosophie*, (26 Avril; 1985).

(66) عبدالله الزين الحيدري، **الإعلام الجديد: النظام والفوضى**، المرجع السابق، ص141.

المصادر والمراجع (باللغة العربيّة)

- الأصفهاني. المرزوقي، **الأزمنة والأمكنة**، حيدر آباد: دار الكِتاب الإسلامي، 1914.
- الآلوسي. حسام، «**الزَّمن في الفكر الديني والفلسفي القديم**»، مجلّة **عالم الفكر**، الكويت: المجلّد الثامن، (1977).
- بدوي. عبد الرّحمن، **الزمان الوجودي**، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1973.
- التيمومي. الهادي، **المغيّبون في تاريخ تونس الاجتماعي**، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، 1999.
- الجابر. خالد ، السّيد خالد عبدالرّحيم ، (تنسيق)، **الإعلام العربي في عالم مضطرب** (مجموعة من المؤلّفين)، دار الشرق، 2013.
- الحاج. علي هيثم، **الزَّمن النوعي وإشكاليات النوع السّردي**، بيروت: الانتشار العربي، 2008.
- الحيدري. عبدالله الزين، **الإعلام الجديد: النظام والفوضى**، تونس: دار سحر للنشر، 2012.
- الحيدري. عبدالله الزين، **الصّورة والتلفزيون، بناء المعنى وصناعة المضمون**، البحرين: كليّة الآداب، جامعة البحرين، 2004.
- الخويلدي. زهير، **الثورة العربية وإرادة الحياة، مقاربة فلسفية**، الطبعة الأولى، تونس: الدار التونسية للكتاب، 2011.
- رضوان. سيّد، **المثقف والمجتمع من القطيعة إلى التواصل**، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، 1999.
- سعيد. يقطين، **تحليل الخطاب الرّوائي** (الزَّمن، السّرد، التبئير)، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1989.
- سعيدي. عبدالفتاح، **مفهوم الزمان بين برغسون وإنشتاين**، رسالة ماجستير في الفلسفة، تونس: جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، 2008.

- شعبان. عبدالحسين، **المجتمع المدني: سيرة وسيرورة**، لبنان: أطلس للنشر والترجمة، والإنتاج الثقافي، 2012.
- العاتي. ابراهيم، **الزّمان في الفكر الإسلامي**، لبنان: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1993.
- عبد الصّمد. زايد، **مفهوم الزَّمن ودلالاته في الرّواية العربيّة المعاصرة**، القاهرة: الدار العربيّة للكتاب، 1988.
- العبد الله. مي، الشريف. نبيل، وآخرون، **أسئلة الإعلام والديمقراطيّة في زمن الرّبيع العربي**، عمّان: مؤسسة عبد الحميد شومان، 2013.
- غليك. جيمس، **نظريّة الفوضى، علم اللامتوقّع، ترجمة**، تحقيق أحمد مغربي، بيروت: دار السّاقي للطباعة والنشر، 1991.
- القصراوي. مها حسن، **الزَّمن في الرّواية العربيّة**، بيروت: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، 2004.
- كاظم. نادر، **طبائع الاستملاك، قراءة في أمراض الحالة البحرينيّة**، بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، 2007.
- كمال. رشيد، **الزَّمن النّحوي في اللّغة العربيّة**، عمّان: دار عالم الثقافة، 2008.
- محمّد. محمّد سيّد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر، 1994.
- هابرماس. يورغن، **العلم والتقنية كـ «إيديولوجيا»**، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، 1991.
- ونّاس. منصف، **الدولة والمسألة الثقافيّة في تونس**، تونس: دار الميثاق، 1988.

(بالفرنسيّة والإنكليزيّة)

- Benmakhlouf. Ali, (dir), *Le réveil Démocratique (Essais) : Le cas tunisien du Printemps Arabe*, DK, Éditions, 2015.
- Berger. Peter, Luckmann. Thomas, *La Construction sociale de la*

réalité, Armand Colin, 2012.

- Berger. René, Technocivilisation, *Presses Polytechniques et universitaires Romandes,* 2010.
- Bergson. Henri, *Essais sur les données immédiates de la conscience,* (1888), FV, Editions, 2012.
- Blumer. Jay G., Katz. Elihu, *The Uses of mass communications: current perspectives on gratifications research,* Volume 1974, Partie1.
- Bruno. Latour, *Reassembling the social, An introduction to actor-network theory,* Oxford University Press, Inc, New York, 2005.
- Charaudeau. Patrick, *Les médias et l'information: L'impossible transparence du discours,* De Boeck Supérieur, 2005.
- De Senancour. Etienne, *Obermann*; Charpentier, 1863.
- Einstein. Albert, *Comment je vois le monde*, Flammarion, 2009.
- Esquenazi. Jean-Pierre, *L'écriture de l'actualité: Pour une sociologie du discours médiatique*, 2e Éd.,P.U.G, 2013.
- Freitag. Michel, *L'oubli de la société, pour une théorie critique de la postmodernité*, Les Presses de l'Université de Laval, 2002.
- Galabov. Antony, Sayah. Jamil, *Participations et citoyennetés depuis le printemps Arabe*, L'Harmattan, 2015.
- Gelven. Michael, *Etre et Temps de Heidegger*, Pierre Mardaga, 1970.
- Lazarsfeld. P. F., Merton. R. K. [1948] 1971. «Mass Communication, popular taste, and organized social action.»' Pp. 554-578 in *the process and effects of mass communication*, edited by W. Schramm and D. F. Roberts. Urbana and Chicago, IL: University of Illinois

Press.

- Lits. Marc, *Du récit au récit médiatique*, De Boeck, 2008.
- Marsi. Paribatra, *Le romantisme contemporain: essai sur l'inquiétude et l'évasion dans les lettres Françaises de 1850 à 1950*, Éditions Polyglottes, 1954.
- Meddeb. Abdelwahab, Printemps de Tunis : La métamorphose de l'histoire, Paris : Albin Michel, 2011.
- Muller. Denis, *La théologie et l'ethique dans l'espace public*, Lit, Berlin, 2012.
- Newton. Isaac, *Principes mathématiques de la philosophie naturelle*, Londres, 1687.
- Oualdi. M'Hamed, et autres, *Les ondes de choc des révolutions Arabes*, Presses de l'Ifpo, 2014.
- Pronovost. Gilles, *Temps sociaux et pratiques culturelles*, Presse de l'Université du Québec, 2005.
- Rovelli. Carlo, *Et si le temps n'existait pas*, Collection: Quai des sciences, Dunod 2014.
- Souchon. Michel, *Petit écran, grand public*, La Documentation Françaises, 1980.
- Sue. Roger, *Temps et ordre social*, Paris : P-U-F, 1994.

أطروحات ومقالات علميّة

- حمودي. حمد، الزرقاني. نوال، **الصّورة والزّمن الاجتماعي في التلفزيون**، رسالة ختم الدروس الجامعيّة، إشراف د. عبدالله الزين الحيدري، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، تونس، 1997.

- الحيدري. عبد الله الزين، «مواهب إنتاج الفشل في تونس: الظاهر والباطن في معركة حريّة الإعلام»، **الفجر نيوز**، 28 -9-2012.
- الحيدري. عبد الله الزين، الفضائيات العربيّة و الزَّمن الاجتماعي، **المجلّة العربيّة** للثّقافة، عدد: 33، المنظّمة العربيّة للتربية و الثّقافة والعلوم، تونس 1998.
- الحيدري. عبد الله الزين، **طبائع الفساد والعبث بالمجال العمومي**، وسائل الإعلام العموميّة العربيّة وعمليّات التحوّل الديمقراطي، أعمال المؤتمر الدولي، معهد الصّحافة وعلوم الإخبار، مؤسّسة كونراد أديناور، تونس 26-27 نيسان 2012.
- صوابني. منير سرّاج، **الزَّمن الاجتماعي في التحقيقات التلفزيونيّة، برنامج المنظار** نموذجاً، رسالة ختم الدروس الجامعيّة، إشراف د. عبدالله الزين الحيدري، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، تونس، 1999.
- عبد العالي. قمرة، **البنية الزمكانية في رواية الرماد الذي غسل الماء لعزّ الدين جلاوجي**، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 2012.
- عبد الفتاح. سعيدي. لخضر. مذبوح، **مفهوم الزمان بين برقسون وإنشتاين**، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، الجزائر، 2007.
- مساهلي. سفيان. مصدّق. سامي، **مفهوم الزَّمن في البرامج التلفزيّة من خلال قناة 7 التونسيّة**، رسالة ختم الدروس الجامعيّة، إشراف د. عبدالله الزين الحيدري، معهد الصّحافة وعلوم الأخبار، تونس،1993.